تراث الإنسانية

ديوان حكمة

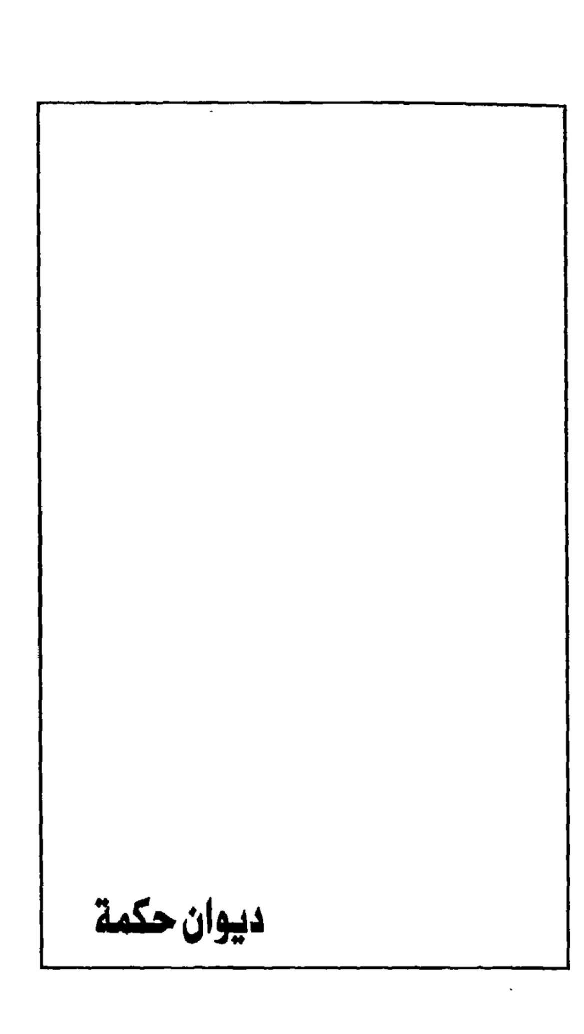
لبول فيرلين



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

د . على درويش

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤


ديوان حكمة

ديوان حكمة
لبول فيرلين

د . على درويش



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :
جمعية الرعاية المتكاملة
وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى
مراد نسيم
احمد صليحة

المشرف العام
د . سمير سرحان

ديوان "حكمة" لبول ڤيرلين

بقلم

الدكتورعلى درويش

مدرس الأدب الفرنسى بجامعة عين شمس

لعل بول فيرلين Paul Verlaine من النماذج البشرية التى لا تهم الأدب فحسب، والشعر بمعنى أصح - لأنه ترك فيه صوتاً خالداً لا يكف عن الترنيم بطريقة لم تعهدها الآذان من قبل - وإنما لا جدال فى أنه يقدم من نفسه مادة خصبة لدراسة نفسية عميقة، وربما أيضاً مادة أخصب لتحليل نفسى يبدأ من علامة استفهام محيرة، وينتهى بعلامة تعجب تعبر عن الرثاء، ماراً فى سرداب طويل ولكن السير فيه لا يمل، مظلم ولكن الأضواء الشاحبة أو الباهرة التى تسلط على جوانبه وخباياه تشيع فى نفس الباحث متعة لا جدال فيها... ولكن حذار! فليس ما ينبغى أن يثير من هذه الدراسات هو فيرلين الرجل، وإنما فيرلين العبقرى؛ أو - إن جاز

التعبير ـ «لعبة الشذوذ والعبقرية »! ... ونحن نقصد الشذوذ بمعناه العام، فسوف نرى فى حياة فيرلين نوعاً من الشذوذ بمعناه الخاص أيضاً!؛ وإن كنا سنحرص على ألا نذكره إلا تلميحاً بالرغم من أنه يكون حدثاً جوهرياً من أحداث حياته .. ذلك لأننا لسنا من أنصار « أدب القمامات»!.. أى أننا لن نصنع من هذا الحدث وجبة غذائية نقدمها إلى فضول أنصار النبش فى الغرائز الشاذة. إذن فالعلاقة المنحرفة التى ربطت فى أحد أطوار حياة فيرلين بينه وبين الشاعر رامبو (Rimbaud) يستطيع من يريد الإطلاع عليها أن يفتش عنها فى غير هذا المكان .

ولد فيرلين فى عام ١٨٤٤ بمدينة «ميتز» (Metz)، وأتى إلى باريس وهو فى السابعة من عمره، حين استقال والده من وظيفته فى الجيش.. وأتم دراسته الثانوية «بليسيه بونابرت» فالتحق بمدرسة الحقوق.

وظهرت مواهبه الشعرية وهو فى سن مبكرة، إذ من المعروف أنه بعث بباكورة محاولاته وهو فى الرابعة عشرة من عمره إلى فيكتور هوجو .. ولم يكد يبلغ التاسعة عشرة حتى كان قد التقى بمشاهير شعراء

المدرسة « البرناسية» أمثال «بانفيل» (Banville) و«كوبيه» (CoPPee).. وفى عام ١٨٦٤ (عمره عشرون عاماً) عين نساحاً فى دار عمودية القسم التاسع بباريس، ثم فى دار المدينة (Hotl de Ville) .. إلا أن مواهبه الأدبية كانت تزهده فى عمله الرسمى؛ فكانت مواظبته عليه أقل من مواظبته على حضور الاجتماعات التى يعقدها البرناسيون، الذين أفسحوا له المجال فى صحيفتهم «البرناس المعاصر» (Parnasse contemporin).

وفى عام ١٨٧٠ تزوج من «ماتيلد موتيه»

(Mathildemaaute) التى كان قد عرفها قبل ذلك بثلاثة أعوام .. وحين حدا إعجاب «رامبو» به كشاعر (١٨٧١) إلى أن يكتب إليه، رد عليه من فوره فى رسالة شهيرة يقول فيها: «تعالى أيتها النفس العالية العزيزة .. إنى أتمناك .. إنى أنتظرك» .. وبالتقاء الشاعرين يبدأ الطور العابث فى حياة ڤيرلين، التى تنقلب رأساً على عقب .. إنه يضحى من أجله بزوجته؛ ثم يتصالح معها؛ ثم يرحل مع « رامبو» إلى بلچيكا، ثم إلى انجلترا! (١٨٧٢) ... ولكن ينشب بينه وبين صديقه نزاع عنيف: إنه لم يستطيع أن ينسى زوجته، وهو يغادر لندن ورامبو

فجأة إلى بروكسل (٤ يوليو ١٨٧٣). ومن العاصمة البلچيكية يبعث إلى «ماتيلد» ببرقية يناشدها فيها أن تلحق به، ويكتب في نفس الوقت إلى أمه مؤكداً لها أنه لن يُحجم عن الانتحار إن أبت زوجته العودة إليه .. وهنا يسرع رامبو فيلحق به في بروكسل (١٠ يوليو)، ويحتدم الخلاف بينهما من جديد، فيخرج ڤيرلين عن طوقه ويطلق على صاحبه رصاصتين تصيبانه بجراح طفيفة .. وتقبض السلطات البلچيكية على الجاني ثم تحكم عليه بالسجن عامين .. وتدرك «ماتيلد» أن الحياة لم تعد ممكنة مع زوجها الشاذ الذي يكفر عن أحدث جرم له في سجون بلچيكا، فتلتمس من محكمة باريس الحكم بالانفصال، وتظفر بما تريد؛ وهنا يدب في نفس ڤيرلين يأس ممض تتمخض عنه عودة إلى الإيمان .. ثم يغادر ڤيرلين السجن (١٨٧٥)، ويحاول عبثاً أن يسترضي زوجته وأن ينال منها الصفح.. ثم يلحق برامبو في ألمانيا (Stuttgart)، ويخفق في حضه هو الآخر على الإيمان، فيرحل إلى انجلترا حيث يعمل مدرساً في (Stickney) .. وبعد ذلك بعامين يتعلق بتلميذ له من (Rethel) يدعى «لوسيان ليتينوا» (Lucien Let-inois) ؛ ثم يتعاون معه على الإشراف في «كولوم»

(Coulommes) على مـزرعـة ينتـهى حـالها إلى التـدهور..
وفى عـام ١٨٨٢ يشــغل بالتـدريس فى -Boulogne-sut)
(Seine على مـقـرية من باريس؛ ثم يشـترى مـزرعـة فى
«كـــــولوم» (١٨٨٣ـ ١٨٨٤)... ولـيس من شك فـى أن
القطيعة بينه وبين زوجته كان لها دخل كبير فى القضاء
على فـاعلية الرغبة الصـادقة فى الصـلاح، التى كـانت
تحـدوه فى ذلك الوقت.. إنه الآن ينكب من جــديد على
الشـراب، وينـغمس فى موجة من الفسق.. ويحـدث ذات
يوم أن يحـاول وهو ثمل قتل أمـه، فيقضـى عليه بالسجن
عدة أشهر.. وفى عام ١٨٩٤ ينُتخب أميراً للشعراء خلفاً
لـ «لوكونت دى ليل» (Le Conte de lisle) فتكتب صحيفة
«القلم» (La Plume) تعليقاً على هذا الاختيار تقول فيه:
«.. إنه تكريم لإنتـاج حـقـقـه، لاتحـديد لدور يسـتـطيع أن
يقـوم به فى مـيدان الشـعـر المعـاصـر .. ذلك لأنه ـ كـمـا
شـاهدنا ـ قد انفصل انفصـالا واضـحـاً عن هؤلاء الذين
كانوا يهدمـون جميع الحـواجز..» .. ويدنو «فـيرلين» من
نهـايتـه، ويئن من وهدة البـؤس، فـتمنحـه وزارة التـعليم
إعـانةً قـدرهـا خـمـسـمـائة من الفـرنكات . وفى ٨ يناير
١٨٩٦ تحين منيـتـه، فـيشـترك فى تشـييـع جنازته كـبار
الكتاب والشعراء؛ ويلقى «كوبيه» (Coppee)و « مـالارميه»

(Mallarme) و«موريا» (mareas)كلمات تأبين، كما يلقى «موريس باريس » Maurice Barres كلمة على قبره باسم الشباب.

تلك هى أهم أحداث حياة بول ڤيرلين . ليست لها مع ذلك قيمة تذكر بالنسبة لإنتاجه ـ باستثناء ارتباطه برامبو ـ إذا هى لم تستعرض فى ضوء أبرز ملامح شخصيته وأوضح مظاهر سلوكه. ولعل من أهم هذه الملامح ضعف ارادته الذى يثير الاشفاق، وافتقاره إلى نظام خلقى بشكل يدعو إلى الرثاء. وهذان العنصران هما اللذان جعلا منه ضحية ولعبة فى أيدى الاحداث والناس ... إذا كان قد عرف حياة البؤس والصعلكة فى الطرقات والمقاهى، وإذا كان قد أجبر على دخول السجن بين الحين والحين، وإذا كان انحرافه قد جر عليه تلك الأوامر المشددة التى تحظر عليه حظراً تاماً الاتصال بابنه التلميذ «بليسيه كوندورسيه» (Lycee Condorcet) .. فلأنه كان مشتتا بين انتفاضات الايمان ونزعات الجسد، فانتهى به الأمر إلى أن يعيش عبداً لغرائز يُرثى لها ..على أن كل هذا الذى عاناه هو الذى أدى إلى خلق مقومات الشعر الڤيرليني .. ڤيرلين كانت له نفس نادرة أتاحت له أن يعيش فى

حلم إلهى فى حين كـان جسمه يئن من شتى أنواع البؤس .. ومن هذا التناقض يخرج ذلك الشعر المجنح الذى ينقلنا إلى عالم غريب ينسينا الواقع المرير، فنسعد ونحن نقرؤه أو نسمعه ـ إنشادا أو غناءً ـ بنسيان آلامنا وهمومنا.

* * *

سنتحدث بعد حين عن فن فيرلين : ولكن لا بأس من أن نشير الآن إلى أهم انتاجه :

ـ «أشعار زحلية» (Poemes Saturniens)

ـ ١٨٦٦ .

ـ « أعياد تفيض بالحب» (Fetes galantes)

ـ ١٨٦٩ .

وهذان الديوانان من وحى نصفه برناسى ونصفه بودليرى، وقد كتب الأخير إبان خطبته على « ماتيلد موتيه».

ـ « الأغنية الجيدة» (La Bonne Chanson)

ـ ١٨٧٠ .

ـ« وجدانيات لا تعرف الكلمات»

(Romances sans Paroles) ـ ١٨٧٤؛ وقد نشره بمعاونة أحد أصدقائه، وهو الذى لفت الأنظار إليه . كان فيرلين فى السجن، فكتب «اميل زولا » (Emile Zola) يقول : « إن فيرلين ـ وهو الآن غائب فى بلجيكا ـ بدأ بدايته متألقة بـ « أشعار زحلية ».. إنه إحدى ضحايا بودلير، بل يقال إنه اندفع فى تقليد أستاذه إلى حد أفسد عليه حياته ..».

ـ «حكمة» (Sagesse) ـ ١٨٨١ .

ـ « أشعار لعينة» (Poemes maudits)

ـ ١٨٨٤، وهى بالإضافة إلى « فن الشعر» (Art Poetique) تجعل منه حامل علم المدرسة الرمزية .

ـ «حب » (Amour) ـ ١٨٨٨

ـ« على التوازى» (Pahallelememt) ١٩٨٩

ـ « اهداءات» (Dedicaces) ـ ١٨٩٠

ـ « سعادة» (Bonheur) و« أغانى من أجلها» (Chansons pour Elle) ـ ١٨٩١ .

ـ « مرثيات» (Elegies) ـ ١٨٩٤ .

يقـول «چـول لومــاتر» (Jules lemaitre) عن هـذا الانتاج الشـعرى : «إنه ترجمة لحالـة نفسية فى كثير من الأحـيـان، ولا يمكن إلا أن يكون صـادراً عـمـا يشـبـه الثمالة، وهو وهم يغير شكل الأشـيـاء فيـجعلها شبيهة بحلم مـفكك، وامتـعـاض نفس تطلق كـالطفل أنيننا فى مـوجـة الخـوف من المعـميـات ... ثم هو ينم عن ضـعف صـوفى، وسكينة تشيـعـها لفكرة الكاثوليكية عن العالم، وتقـبل لهـذه الفكرة بسـذاجـة مطلقـة» .. ونحن وإن كنا نرى أن هذا الحكم الاجمالى يسمعنا فعلا كثيرا من النغمات التى تنطلق من أشعار «فيرلين»، شاعر الحب والألم والموسيقى، إلا أننا نفضل هذه الكلمات المعدودات التى يقترحـها « اندريه دينار» (Andre Dinar) علمـاً على مـجموعة انتـاج فيرلين: سمو الطبيعة البشرية وعبودتها» (Grandeur et servitude humaines) نحن نعتبر هذه العبارة على اقتضـابها جامعة مانعة؛ انها ـ لو تأملناها ـ كفيلة بأن تجعلنا نحكم على الشاعر حكماً ذا شطرين: شطر يشيد بجوانب عبقريته، وشطر مترفق يشفق على جوانب ضـعفه البشرى.. هذه هى الحقيقة، ولكن أيحب الناس الحقيقة؟ ـ لا، وهذا أيضاً مظهر من مظاهر الضعف البشرى.. من المؤكد أن ڤيرلين قد عانى

منه ـ أكثر ما عانى ـ فى الخفاء، أو حاول أن يغرق صداه في جوفه بما كان يصبه فيه من كؤوس النبيذ والأبسانت.. أما «سانت بيف» (Sainte- Beuve) فلم يكن ثملا، وهو يستطيع أن يقول لنا فى أنه رثاء للبشرية: «إن الناس عادة لا يحبون الحقيقة؛ والأدباء أقل حباً لها من غيرهم.. أنهم ـ على العكس ـ مولعون بالهجاء .. هم يشعرون بأقصى درجات المشقة فى تقبل الحقيقة، وهى هذه المجموعة غير المرتبة من المزايا والعيوب، من الفضائل والرذائل، والتى تشكل الشخصية الانسانية.. إنهم يرون فيمن يحكمون عليه ملاكا صرفاً أو شيطاناً من جميع الوجوه»!

* * *

الرمزية ليست أسهل تحديداً من الرومانسية؛ فلقد كانت اتجاهاً أكثر منها مذهباً محدداً. وهى تطلق عادة على الفترة التى أعقبت اضمحلال المدرسة الطبيعية، والتى جاءت كرد فعل لأربعة عوامل أو خمسة على الأقل: لقد كان جيل الشباب الذى ظهر حوالى عام ١٨٨٠ ضجراً من فن فيكتور هوجو الذى كان يعتمد على الألفاظ الفخمة الطنانة، والذى أصابه الهرم ..

ضجراً من نثر الطبيعيين الذى كانوا يقدمون فى قصصهم لوحات عنيفة تعتمد على وسائل مفرطة فى الواقعية بحيث يمكن تسميتها « بالفوتوغرافية».. ضجراً من الأفكار الصارمة التى تميز شعر البرناسيين أمثال «لو كنت دى ليل» و«بانفيل» و«سولى برودوم» (Sully Prudhomme) .. ضجراً من آثار التقدم العلمى الذى أثر فى جميع المجالات بما أتى به من يقين جاف لم يدع أى فرصة للخيال والغنائية.. ضجراً من العقلية الوضعية التى سيطرت على كل النصف الثانى منَ القرن التاسع عشر .... وإذا بهذا الجيل يهب مطالباً بشعر أكثر سيولة، فيه خيال وموسيقى، وأقدر على إثارة الانفعال ... ترك هؤلاء الشباب العلم والواقعية لاصحابهما، وبحثوا عن الانتفاضات الرهيفة للذات، وعن الغموض بوصفه الوطن الوحيد للشعر .. وبحثوا عن زعماء لهم أو على الأقل عن مبشرين باتجاههم، فوجدوا ضالتهم المنشودة فى « بودلير» الذى يسبر أعماق نفسه المضطربة، ويكشف عن تجاويات اخص أنواع الأحاسيس .. وفى « مالارميه» (Mallarme) و«فيرلين»... أما بودلير فكان قد توفى فى عام ١٨٦٧ ؛ وأما «مالارميه» وفيرلين » فصحيح انهما كانا ينتميان

إلى المدرسة البارناسية، ولكنهما الآن يديران إليها ظهريهما ... الزعامة إذن مفتوحة أمام هذين الشاعرين الكبيرين ... أما الأول فكانوا يصغون إليه فى تلك الحلقات الأدبية التى يعقدها يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى بيته بشارع روما بباريس؛ وأما الآخر فكان تأثيره فيهم أعمق بالرغم من أنه لم يكن يعقد اجتماعات، لأن فمه فى شغل مع الكؤوس، ولأن أذنه منهمكة فى الاستماع إلى الموسيقى الصادرة من أعماقه: من هنا كان ڤيرلين أحق بالزعامة؛ ومن هنا يعتبر ـ كما قلنا ـ حامل علم الرمزيين .. وإذا توخينا الدقة قلنا إن فنه بلور ما أصبح الرمزية فيما بعد؛ ذلك لأن الرمزية حين تفتحت كان « ڤيرلين» قد أنتج معظم أعماله .

تصدى الرمزيون لرأى ڤيكتور هوجو عن الشاعر الحق (الذى ذكره فى مقدمة ديوانه «أشعة وظلال» (Rayons et Ombres) : «إن المؤلف يعتقد أن كل شاعر حق ـ بصرف النظر عن الأفكار التى تأتيه من الحقيقة الخالدة ـ يضم بين جنباته مجموعة أفكار عصره» ... وأرادوا أن يعبروا عن انفعالات ذاتية فى معظم أجزائها، لا أن يجئ شعرهم مجرد أصداء؛ ذلك لأن الطبيعة، بل والأفكار لاتهم بما لها من طابع

موضوعى وعام، وإنما بما تحدث من صدى فى أعماق الفرد... ورأوا أن مجال الشعر إن هو إلا تلك المنطقة التى تستعصى على التحليل، وحيث يتاح للأحاسيس أن تنضج، وللأفكار أن تجد موسيقاها؛ فقرروا أن رسالته تعتمد لا على الإفهام وإنما على التلميح ... وهكذا ظهرت فكرة الرمز بوصفها أقوى أداة للتلميح: هذا الرمز قد يكون مقارنة طويلة أو قصيرة، ولكن بحيث يجئ التشبيه دافعاً إلى التخمين ـ بمحاولة الاستشفاف ـ لا أن يعبر عنه تعبيراً صريحاً؛ الأمر الذى يحتم على خيال القارئ بذل جهد يعود عليه باللذة!

وعاب الرمزيون على اللغة والأوزان التقليدية افتقارها إلى المرونة التى يتطلبها التعبير بالدقة عن الانطباعات المعقدة، ورأوا ـ حلا لهذه المشكلة ـ ضرورة ابتكار كلمات جديدة، وإحياء كلمات قديمة، واستعارة ألفاظه من جميع اللغات الأخرى، والاهتمام الكبير بموسيقية البيت، وبالتالى بجرس الألفاظ: وهكذا يصبح الوزن سيدا، ويحق للشاعر أن يتخير مايروقه من الأوزان، ويصبح بيت الشعر طليقاً من كل قيد.

واعترفوا بأن هذه المهمة عسيرة؛ ولكنهم رأوا أنه لا مجال بينهم للوضوح الذى تميزت به الكلاسيكية بل أن بعض الرمزيين أعلنوا أن الغموض من شأنه أن يكون مظهراً من مظاهر حياء الشاعر، وأنه ـ على كل حال الضريبة التى لا بد منها للفن الحديث، وعلامة من علامات سموه.

وتولى «جان موريا» (Jean Moreas) صياغة بيان المدرسة الجديدة الذى نشره فى الثامن عشر من سبتمبر عام ١٨٨٦ فى صحيفة «فيجارو» (Figaro) ولوحظ أن كثيراً من الآراء الجديدة مستمد من «فن الشعر» لفيرلين ... ونشرت صحيفة «الانتكاسى» (Le Decadent) ـ أحد السنة حال المدرسة الجديدة مقالا تمتدح فيه الشاعر، وحاول «موريا» فى صحيفة «الرمزية» (Le symbolisme) أن يجنده فى هذه المدرسة، ولكن «فيرلين» كان يدرك أن الرمزيين ذهبوا إلى أبعد مما كان يتوقع فى تحررهم من القيود، ويشعر بصدمة من جراء الأساليب البهلوانية ـ فى مجالى الوزن واللغة ـ التى عمد إليها أمثال «موريا» و«رينيه جيل» (René Ghil) والتى كانت تتعارض مع ما يمتاز به فنه من إتزان ووضوح وإعتدال لا يبيح ذلك الغلو

المفرط الذى يستتر وراء الدعوة إلى شعر متحرر من قيود هى فى واقع الأمر المقومات الأصيلة للشعر بالمعنى الصحيح.. كان «فيرلين» قد كتب «فن الشعر» فى عام ١٨٧٤، ولكنه لم ينشره - فى «بارى مودرن» (Paris Moderne) - إلا فى عام ١٨٨٢. ويبدو أنه أحس أن أنصار الإتجاه الجديد يحرصون على إستغلال ما كان قد نادى به فى «فن الشعر» هذا إستغلالا يخرجه عن الإطار الذى رسمه فيه، فهب يدافع عن القافية فى مقال يضع الأمور فى نصابها ويجنبه هو تبعة التحرر البهلوانى الذى بدأ يتفشى بين هؤلاء الشعراء الذين أطلقوا على أنفسهم «الانتكاسيين» (Décadents)؛ يقول فى هذا المقال: «لتلاحظوا قبل كل شئ أن القصيدة المعنية (فن الشعر) مقفّاة بطريقة جيدة.. إن فخرى بأننى كنت أكثر البرناسيين تواضعاً - هؤلاء البرناسيين الذين يثار اليوم حولهم جدل طويل - إن فخرى هذا أكبر من أن يخضنى فى وقت من الأوقات على إنكار ضرورة القافية بالنسبة للشعر الفرنسى.. إننى لا أحرص إلا على الإعتزاز ببودلير الذى آثر دائماً القافية النادرة على القافية الغنية». ثم ذهب إلى أبعد من ذلك حين نظر بزعر إلى التطور المطرد فى الإتجاه الجديد فى الشعر الحر فلم يتورع عن أن ينبذ تلك الآراء التى كان

قد سجلها فى «فن الشعر»: يقول فى إحدى قصائده:

* ليشغل طموح الشعر الحر

* عقولا شابة مولعة بالمخاطر!

* انها حمية وهم مثير

* ولا يملك الانسان إلا أن يبتسم لانحرافاتهم

وظل القلق يساوره على مصير الشعر، فكتب فى «الانتكاسى» مقالا يعترف فيه بأخطائه ـ التى لم تتجاوز حدود القول ـ عن القافية، ويندد بالمغالاة التى توشك أن تجر على الشعر الفرنسى عواقب وخيمة: يقول :« ضعوا فى شعركم قافية ضعيفة، أعمدوا إلى الجناس، ولكن لاتغفلوا القافية والجناس .. إن الشعر الفرنسى لا يصبح شعرا بدونهما».. ويقول فى مكان آخر :« لكى يكون هناك شعر فلابد من وزن ... يوجد فى الوقت الحاضر من ينظمون شعرا «له ألف رجل »! .. ليس هذا شعرا، وإنما هو نثر .. وهو فى بعض الأحيان ليس سوى كلام يستحيل فهمه ...»

ثم يطلق هذه الصيحة التى ينبذ فيها هؤلاء الذين يتشدقون بالتتلمذ عليه : « لقد كان لى تلاميذ، ولكنى اعتبرهم تلاميذ متمردين» .. ماذا كانت نتيجة تلك المناقشات الأدبية؟ ـ منذ ذلك الوقت والنقد لم يعد يهمل

شأن «فيرلين».

حين ظهر ديوان «حكمة» في عام ١٨٨١ كان «فيرلين» قد ظل منسياً أو شبه منسي خلال عشرة أعوام أو يزيد .. كم تجشم من متاعب من أجل العثور على ناشر له، قبل أن يوفق في إقناع الكاثوليكي «بالمية» (Palme) بنشره!.. طبع منه خمسمائة نسخة لم تصادف قبولا لدى القراء؛ وبلغ من تثبط عزيمة الناشر أنه لم يحاول «تصريفها» وإنما تركها حبيسة «الرفوف». واضطر «فيرلين» إلى أن يصيغ بنفسه تعليقاًعلى ديوانه الجديد، وأن يسعى من أجل نشره في بعض الصحف... ولم تضع كل جهوده سدى: جاء في هذا التعليق ما يلي: «إن الكاتب «بول فيرلين» المعروف في الأوساط الأدبية بكتبه التي أحرزت نجاحاً كبيراً لدى هواة الشعر الحقيقي يقدم هذه المرة نوعاً جديداً كل الجدة .. لقد عاد باخلاص وصراحة إلى مشاعر الإيمان الصحيح. وهو يستخدم اليوم مواهبه الحيوية في معالجة موضوعات كاثوليكية.. لاشئ تافه في هذه الأشعار التي يثير فيها أدق مشاكل النفس والضمير.. إن بعض صيحات السخط تنطلق بين الحين والحين من قلبه الكاثوليكي وهو ينظر إلى ما سنتكبده في هذه

الأزمنة التسعة.. وإن ما للديوان من شكل بارع ليحفظ له طابعه الأدبي الرفيع الذي يكفل له نجاحاً كبيراً...» كان هذا التأكيد الملئ بالثقة صادقا،ومع ذلك لم يأت بثمرة سريعة تذكر، ذلك لأن ماضى الشاعر المنحرف كان لا يزال يبعد بينه وبين الجمهور ... حتى المقدمة التي صدر بها الديوان لم توفق في استدرار العطف عليه: يعترف بأنه كان قد هام في فساد العصر، وأنه أخذ نصيبه من الآثام والعار فلا يقنع أحداً.. يعلن أن إيماناً راسخاً صار يشيع في نفسه فلا يصدقه إنسان ... ولكن ألم نقل إن صيحاته اليائسة ظلت حبيسة المكتبة؟.. لنستمع الآن إليه، فنحن أقدر من مواطنيه على فهمه فهماً موضوعياً : «.. إن ماشعر به من أحزان يستحقها كان بمثابة إنذار له؛ ولقد تفضل الله عليه بفهم هذا الإنذار.. إنه سجد أمام المذبح الذي كان قد تجاهله زمناً طويلا.. إنه يعبد الله الكريم، ويبتهل إلى الله القوى العزيز ... وهو الإبن الخاضع للكنيسة : أقل الناس استحقاقاً وإن كان مليئاً بالرغبة الصادقة... إن شعوره بالضعف، وذكرى سقطاته قد قاداه إلى إعداد هذا الكتاب الذي هو أول دليل عام على الايمان بعد صمت أدبي طويل.. لقد نشر المؤلف في صباه ـ أي منذ

عشر سنين أو أثنتى عشرة سنة - أشعارا تنم عن شك وطيش تعس، ؛ وهو يجرؤ على الأمل فى الاتصدم الأشعار التى يقدمها اليوم أية أذن كاثوليكية؛ فسوف يكون ذلك تحقيقاً لما يتوق إليه من مجد، ولأعز مايحدوه من آمال».

والغريب أن أصدقاء الشاعر أنفسهم ساورهم الشك فى عمق هذا الإيمان، وحسبوا أن الديوان «حكمة» ليس إلا صدى لفورةٍ نفسية طارئة. وتواترت الإشاعات، وكان من بين مروجيها صديق له يُدعى «لوبيليتيية» (Lepelletier)، فرد عليه «فيرلين» فى لاريفى باريزيان (La Revue Parisienne) (٢٥ أكتوبر سنة ١٨٩٣) يقول: «.. إنى ساخط - فى وداعة كاثوليكية مع ذلك - على قوله إن ديوانى «حكمة» ضربٌ من المزاح، لا سيما أنه يعرف أين ومتى كتبت بالعبرات والآلام هذا الكتاب الذى حاولت أن أضع فيه كل نفسى»... لا ينبغى مع ذلك أن نعمم، فها هو صوت رجل من رجال الدين يدل على أن صاحبه يشعر بما فى الديوان من إيمان خالص؛ نستطيع إذن أن نصدقه: إنه صوت الأب «باشو» (Pacheu)، ولقد سجله فى كتابه «من دانتى إلى فيرلين» (De Dante â Verlaine)،

يقول: «كل شئ فيه (الديوان) صادر عن وحى كاثوليكى صرف».

ولا يتأخر الإنصاف عن الظهور فى الأفق: يأتى فى العام التالى حدثٌ يؤدى إلى لفت الأنظار إلى قيمة إنتاج الشاعر العبقرى، قيمة «حكمة» وما سبقه من دواوين: يتعاون «فيرلين» مع مجلة ذات إتجاه برناسى هى «بارى مودرن» (Paris Moderne)، وينشر فيها «فن الشعر».. وإذا بمجلات الشباب ـ وكانت فى البداية مناهضة له ـ تتقبل هذه الأشعار باهتمام. من هذه المجلات «لا نوفيل ريف» (La Nouvelle Rive) و«لوشانوار» (Le Chat Noir)... ونحن نقرأ فى هذه الأخيرة ما يلى (فبراير ١٨٨٣): «إنه يبحث عن الجديد.. إننى لا أدرى أى فن هذا الذى يجمع فى غموض بين الشعر والتصوير والموسيقى... إنه شئ شبيه بكونسرتو بالألوان، وبلوحة مكونةٍ من أنغام».

إن الإنصاف ينادى الإنصاف!.. نحن الآن فى عام ١٨٨٨: «چول لوماتر» (Jules Lemaitre) ـ وهو أحد أعلام النقد ـ يخرج فى تردد شديد من صمته الطويل إزاء الشعراء الرمزيين.. عمن يجدر به أن يتكلم؟ ـ عن ذلك الذى يُعتبر «زعيم الحركة»، عن «بول فرلين»...

لنستمع إليه وهو يحكم على ديوان «حكمة» فى مقاله الطويل الذى نشر فى «لا ريفى بلو» (La Revue bleue) (٧يناير): «إنه كتاب من أغرب الكتب . وهو ربما كان ديوان الشعر الكاثوليكى الوحيد الذى أعرفه (وأقول الكاثوليكى وليس فحسب المسيحى أو الدينى).. ها هى أبيات تنطق حقيقة بالندم والتقوى والدعاء ...أنها باختصار أكثر أنواع التقوى سذاجة وأشدها إذعانا... نحن أبعد مانكون عن الكاثوليكية الأدبية، عن التدين الرومانسى الغامض .. هل تظنون أن قديسا ما اتجه إلى الله بكلام أبلغ من كلام «بول ڤيرلين » ؟ـ فى رأيى أن هذه هى المرة الوحيدة التى عبر فيها الشعر الفرنسى تعبيرِ ظاهراً عن حب الله ».

* * *

صحيح أن النقد الأدبى يعتبر ديوان «حكمة» أروع جزء فى انتاج «فيرلين»، ولكن فى رأينا أن الكلام عن فن هذا الشاعر يجئ مبتورا إذا انصب على هذا الديوان وحده، ذلك لأنه طور من أطوار حياته الفنية؛ فى هذا الطور بلغ فيرلين أوج نضجه، إلا أن الأطوار السابقة شهدت محاولاته الأولى، والاتجاهات التى

أثرت فيه، وانتفاضات عبقريته التى أرادت أن تفصح عن نفسها بالآراء والتطبيقات... نحن إذن مضطرون إلى افساح المجال لحديثنا عن فن «فيرلين» بحيث ينحسب على كل ماخرج من قلمه .. ذلك لأن هذا الشاعر حين اتجه إلى الله ـ إلى حين ـ بقلب مفعم بالايمان وبنفس خاضعة تائبة، لم يتخلص من آلامه، ولم تتبلد عواطفه الأخرى، ولم يسقط من يده قوس قيثارته.. شاعر الورع (فى حكمة») هو نفسه شاعر الحب والألم والموسيقى حين بدأ فيرلين انتاجه كانت المدرسة البرناسية فى أوج تألقها، فلم يسلم من تأثيرها، وإنما سار ـ على العكس ـ فى ركبها. وهو لا ينكر هذا بل يعترف به صراحة فى تلك القصيدة التى ذيل بها أشعاره «الزحلية» (saturniens Poemès)؛ يضاف إلى ذلك أنه نشر أولى أشعاره فى «البرناس المعاصر» (Le Parnasse... Contemporain)) وقبل أن نستشهد بعدة أبيات من القصيدة التى نشير إليها يتحتم علينا أن نذكر أن المدرسة البرناسية جاءت وليدة رد فعل الرومانسية : أهم مايقال عن اتباعها أنهم على عكس الرومانسيين (باستثناء فيكتور هوجو وتيوفيل جوتييه) يحرصون على كمال الشكل فى أدق تفاصيل فنهم،

وأنهم يهتمون بالطبيعة لذاتها، لا لمجرد تأثيرها فيهم (على عكس الرومانسيين أيضاً الذين كانوا يتجمعون مثلا ليشهدوا غروب الشمس!)، وانهم يعبرون عن عواطفهم االخاصة ولكن فى حياء، بحيث يأبون أن يقدموا من قلوبهم غذاء للجمهور!.. ولنستمع الآن إلى «فيرلين»:

* إن مايتحتم علينا نحن عظماء الشعراء

. . . .

* الذين ننقش الكلمات كالكؤوس

* وننظم بفتور شعراً فيه انفعال،

* نحن الذين لا يشاهدنا أحد فى المساء جماعات

*متجاوية على شواطئ البحيرات ومغشيا علينا ـ

. . . .

* هو الاصرار، هو الارادة.

* ماأتعس الناس! إن الفن ليس فى تشتيت النفس

* أتمثال فينوس ميلومن الرخام أم من مادة أخرى؟

أى لا يهم أن نعرف هل تمثال فينوس مصنوع من الرخـام أو غـيـره من المواد، لأن شكله يثـيـر إعجابنا.كيفما كانت المادة التى قدم منها... ولقد تأثر فيرلين ـ من غير شك ـ ببودلير ، وحدابه تحمسه لأستاذه إلى أن ينشر عنه فى مجلة «فن» (Art) دراسات تفيض بالإعجاب (١٦و٢٠ نوفمبر ـ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٦٥)، الأمر الذى أكد لصاحب «أزهار الشر» أنه صار صاحب مدرسة لها أنصار فلقد كتب إلى أمه يقول (٥مارس ١٨٦٦): «إن لدى هؤلاء الشبان نبوغ، ولكن ما أكثر مظاهر جنونهم!.يالألوان المغالاة، ويالولع الشباب!؛ لقد فاجأت منذ عدة سنوات هنا وهناك أنواعا من التقليد واتجاهات تفزعنى... ولست أعرف شيئا أضر من المقلدين . إننى لا أحب شيئاً أكثر من أن أظل وحيدا .. ولكن ليس هذا بالأمر المتاح، إذ يبدو أن مدرسة بودلير قد وجدت» ... وليس «بودلير وحده هو الذى أحس بتأثيره فى «ڤيرلين»؛ فلقد كان هذا التأثير من الوضوح بحيث لم يفت كثيراً من النقاد أن يشيروا إليه : منهم الأعداء أمثال «دورڤيلي» (Barbey d'Aurevilly) الذى يتحدث عنه بسخرية لاتعدى، فيقول : «... بودليرى مترمت .. توافق غريب له

شكل جنائزى .. خلو من مـواهب بودليـر.. لديه هن وهناك بعض ومضات هوجو وموسيه.. هاهو ڤيرلين، ولا شئ أكثر من ذلك !».. ومنهم الأصدقاء المتحفظون أمثال «سـانت بيف» (Sainte- Beuve) الذى يعطف على الشاعرين وان كان يقف حائرا أمام انتاجيهما، إذ أن الشيخوخة تجعل من العسير عليه أن يسيغ مايأتى به الشباب من جديد جسور: كتب إلى فيرلين يقول حين تلقى منه نسخة من ديوانه «أشعار زحلية»:«... إن الناقد والشاعر فىَّ يتضاربان بشأنك.. وإن أكثر الآذان تأقلما مع الشعر لتحار؛ فلكل شئ حد.. عليك ألا تبدأ بالإقتداء ببودلير، هذا الطيب المسكين، حتى لا تذهب بعد ذلك إلى أبعد منه...».

شيئان على الأقل يعتمد عليهما تجديد «فيرلين» فى الشعر، هما الموسيقى السخية والتحرر من قيود البلاغة الرومانسية: يقول فى «فن الشعر»: «عليك بالمزيد من الموسيقى، ودائماً» ـ كما يقول: «إمسك بالبلاغة والْوِ عنقها».. ومن هذين العنصرين تتفرع تقريباً جميع عناصر التجديد الأخرى، تلك العناصر التى تتعلق بشعرٍ يختلف فنه ـ بالطبع ـ عن فن الشعر العربى، والتى يكون من الإلغاز والتحذلق أن نتكلم عنها فى

هذا المقام؛ حسبنا أن نقول مع «جول لوماتر» (Jules Lemaitre) إن لفيرلين أشعاراً تتغلغل حلاوتها فى النفس، وتؤثر بأشياء ثلاثة مجتمعة: سحر النغمات، وصفاء العاطفة، وشبه الغموض فى الألفاظ.. ويضيف هذا الناقد قوله: «ربما يمكن القول إنه الشاعر الوحيد الذى لم يعبر إلا عن عواطف وإنفعالات ترجمها لنفسه وحده... هذا الشاعر لم يتساءل أبداً إذا كان سيفهمه أحد، ولم يُرد أبداً أن يبرهن على أى شئ».... من هنا نبع شعره من نفسه فى يسر، ولم يسبب له خلقه أدنى عناء... ومن هنا عبر بكل ما ستطاع من دقة عن الحالات العابرة التى كانت تطرأ على حساسيته. إن لديه «تلقائية عاطفية تخلو من أى عنصر عقلى»... هبط إلى أعماق نفسه فكشف عن كثير من النزوات، ولكن أيضاً عن بعض الجوانب الطيبة، وإعترافاته السانجة بآثامه تثير الإشفاق، الأمر الذى يشفع له، لا أمام القانون الوضعى، فلقد حُكم عليه بالسجن مرتين بإسم هذا القانون؛ ولكن لدى الضمير الإنسانى الذى إن لم يمنحه الصفح كله فعلى الأقل نصفه!... لقد أستطاع فيرلين فى وقت من الأوقات ـ وبالرغم من وهن عزيمته ـ أن يلم شعث نفسه فعاد إلى الإيمان، ولكن بقلق مَنْ

يخشى النكسة، ويأمل من يتوق في وجلٍ إلى الغفران...
ثم را ضحية غرائزه من جديد بعد أن ترك ديوانه «حكمة» الذى ربما يواسيه الآن بعض الشئ في قبره!..

«فيرلين» شاعر الألم.. ليس هو الوحيد الذى تألم في حياته؛ فالحياة لن تكف عن إصابة الإنسان بالكدمات ما بقى في الوجود... ولكننا نكاد نؤمن بأن هناك أناساً تلحق بهم اللعنة وهم في مهادهم، وكأنهم وُلدوا ليألموا طول حياتهم التى يصارعونها قبل أن تصرعهم، أو يذعنوا لصدماتها المتلاحقة إذعاناً ظاهريا يحجب عن الأنظار ثورات نفسية تضئ الجسد وتختصر العمر .. و«فيرلين» أحد هؤلاء، ولقد رزق موهبة التعبير عن الآلام، تلك التى يحسها ويحسها مثله كثيرون، وإن كانوا لا يستطيعون أو لا يحسنون مثله الإفصاح عنها .. وفصيلة «التعساء الابديين» تجمعهم رابطة الألم، وإن اختلفت أنواعه: «الفريد دى موسيه»و« فيرلين» مثلا ينتميان إلى هذه الفصيلة، ولكن الأول كان يعانى بصورة متصلة من مشاكله العاطفية، أما الآخر فكان يئن من اسوأ أنواع الانحراف، من عجزه عن حماية نفسه من نفسه.. وهو صادق فيما يحكيه عن ذلك في شعره، الأمر الذى يجعل البائسين أمثاله يشاطرونه

بؤسه، ويدفع «السعداء» إلى أن «يقيسوا مدى البؤس الذى نجوا منه» لحسن حظهم.. فأشعار «فيرلين» لها القدرة على الاستمالة بفضل طابعها الإنسانى الأصيل؛ يقول فى قصيدة عنوانها «المقهورون »:

* ما دام مصيرنا كلا لا يتجزأ

* والأمل قد ذوى، والهزيمة محققة

* وأضخم الجهود عقيما،

* وما دامت هذه الأمور محتومة، حتى بالنسبةلبغضائنا،

* فما علينا إلا أن نستسلم لموت مغمور لا ضجة فيه،

*مثلما يجد/ بمن يهزمون فى المعارك الكبرى.

وهو شاعر الحب، الذى قال: «إن بى جنون الحب؛ وإن قلبى لشديد الضعف والجنون»...الحب الذى تسرى فيه نفحة دينية، :

* فى بساطة، كما يُصب عطر على لهب،

* وكما يبذل جندى دمه من أجل الوطن،

* بودى لو استطعت أن أضع قلبى وروحى

* فى نشيد إلى القديسة العذراء مريم

والحب الذى ينُسى نزغـات الجـسـد ويرنو إلى التوازن فى الحياة بين المادة والروح:

* كنت أسير فى طرق خداعة

* متردداً والألم يملأ جوانحى،

* فجاءت يداك العزيزتان نبراساً لى.

* فى شحوب شديد بالأفق البعيد،

* كان يلمع أمل ضعيف فى الشروق

*ثم كانت نظرتُك الصباح.

ولكن «فيرلين» ـ قبل كل شئ ـ شاعر الموسيقى .. الموسيقى أبرز سمات فنه وأكثرها أصالة .. وهو لا يكف عن المناداة بها فى الشعر : «عليك بالموسيقى، قبل كل شئ» ودائماً» .. ألفاظه تتحرر من جميع القيود، وتنطلق بأجنحة إلى الأثير حيث تتحلل وتستحيل إلى نغم صرف .. وهذا السحر ليس وليد تقليد، وإنما هو من وحى طبيعته الشفافة ونفسه المرهفة .. ويمكن القول

إن أشعاره تسجيلُ لأصوات كان الشاعر يستجيب لها في غير مقاومة؛ من هنا كانت ـ كما قلنا ـ تنبع سيالة في يسر . ولعل الأبيات التالية تبرز أحد مقومات فنه وإحدى مواهبه الفريدة أكثر من كونها توجيهاً إلى الشعراء يمكن أن يسيروا على هديه في إنتاجهم، ذلك لأن العبقرية لا تلقن .. يقول في « فن الشعر »:

* عليك بالمزيد من الموسيقى، ودائماً!

* ليكن شعرك شيئاً طائراً

* نحس به وهو ينطلق من نفس

* نحو سموات أخرى، وألون أخرى من الحب.

يقول «چول لوماتر»: «إن لدى هذا الطفل موسيقى في نفسه؛ وهو يسمع في بعض الأحيان أصواتاً لم يسمعها أحد من قبله» .. سنرى بعد حين أن هذه الأصوات لم يسمع مثلها أحد من بعده كذلك !.. هذه الأصوات الخفية التي ينقلها بموسيقى إلهية موحية تتسلل إلى النفوس لتمس نياط القلوب .. إنها تهز كآبتنا أكثر مما استطاعت أن تهزها غنائية كبار الرومانسيين أمثال ڤيكتور هوجو ولا مرتين (Hugo - Lamartine) .. أشعار «ڤيرلين» غذاء روحي : تشنف

الآذان، وينبغى أن تغمض لها العيون، لتسمع كالموسيقى فى جو نفسى لا تفسده صور الحسيات!

* * *

ثم إن هذه الأشعار سجل خالد للانفعالات الإنسانية .. فيه يغنى الشاعر للناس ويعبر لهم عما يتجاوب مع نفوسهم؛ وهنا مظهر العمق، ومظهر الإعجاز ... قرؤوها فتملوا! وفتن كثير من الشعراء بما فيها من سحر فحاولوا التمرن على التعاليم التى صبها صاحبها فى «فن الشعر»، ولكنهم أخفقوا! ألم نقل إن العبقرية لا تلقن؟.. إن الشعر ليس ألفاظاً فحسب، وإنما هو كائنات حية تستمد من الشاعر الحياة .. ولو أن شعراء غير «فيرلين» وفقوا فى حل لغزإعجازه لا عتبر صاحب مذهب جمالى جديد له أتباع يطبقونه .. ولكن عبقرية«فيرلين» جعلت منه ـ كما أشرنا ـ صوتاً وغناءً: صوتاً لا ينقطع، وغناء حزيناً يتوجه توأإلى القلوب فيداويها «بالتى كانت هى الداء» !... فتن كبار مؤلفى الموسيقى أمثال «دوبوسى »(Debussy)و» جابريل فوريه» (Gabriel Faure) بما فى هذه الأشعار من سحر فترجموا الكثير منها إلى أنغام خالدة ، بل ولا

يزال «فيرلين» يشغل بعض الموسيقيين المعاصرين.

لم يسلم «فيرلين» من ألسنة من كان بينه وبينهم عداء مذهبي أمثال «مورا» (Naurras) الذى كتب بعد وفاته بشهر فى صحيفة «القلم» (La Plume) (فبراير ١٨٩٦) يقول : « بول فيرلين يترك اسما كبيراً؛ ولكنى لا أعرف إذا كان يترك إنتاجاً .. يجب أن نحتفظ من فيرلين ببضعة أشعار متفرقة رائعة .. لقد كان الرومانسيون يطالبون بحرية الفن فمارس هو هذه الحرية، وبحماس وحشي مجنون.. لقد أضاع اللغة، وأفسد الأسلوب، وأحال الفكر إلى عدم ..»!.. عداء مذهبي كما قلنا!؛ وهو أعجز من أن ينال من مجد «فيرلين» ... ما هى القيمة الحقيقية لإنتاج هذا الشاعر العبقرى؟ وما مدى تأثيره فى التراث الإنساني؟ـ لعل أجدى وسيلة لمعرفة الإجابة عن هذين السؤالين هى أن ننصت إلى بعض الجادين من كبار النقاد:

« أندرية دينار» (Andre Dinar)

«فيكتور هوجو، لامرتين، الفريددى موسيه، الفريد دى فيني يقدمون عدة مظاهر للرومانسية: فخامة ومسرحية عند هوجو.. صوفية ووعياً عند لامرتين ..

رقة وألماً وغرابة عند موسيه.. صرامة وفلسفة ومرارة عند فيني.. ولكن مَنْ من هؤلاء المغنين الأربعة عثر على هذه النغمات المنسجمة (نغمات فيرلين)؟ من منهم أطلق هذه الصيحات التى تنطق بالحب والضيق بهذه الوسائل البسيطة التى تميز فيرلين؟ـ «.. من البديهى مثلا أن «هنرى دى رينييه» (Henri de Regnier) يدين لفرين بأكثر مما يدين به «لمالارمييه» (Mallarme) بالرغم من أنه كان أكثر مواظبة على حضور اجتماعات شارع روما منه على التردد على المقاهى التى يغشاها فيرلين ... إن بينهما كل صلة الأبوة التى يمكن إقامتها بين العبقرية وبين النبوغ الكبير .. لم ينقص «هنرى دى رينييه» سوى ذلك الألم الذى ذاقه فيرلين ....»...».. علينا ألا ننسى كيف أن «فيرلين» هو الذى أعد حملة الرمزيين بأن وجه اهتمام الشعراء الشبان إلى شخصية «مالارميه» فى «أشعاره اللعينة» ... حين ظهر هذا الديوان الصغير فى عام ١٨٨٤ تطلع جيل بأسره إلى التجديد فى الشعر ... لقد كان «فيرلين» و«مالارميه» ضوءين فى الليل، ضوءى فجر بازغ قادا رمزيى المستقبل، ودلا هم إلى حد ما على الطريق القويم».

شارل موريس (Chaeles Morice)

إن انتاجه «سيميل باطراد إلى الموضوعية، وسيترك صدى أعمق أنين أطلقته النفس الانسانية فى العصر الحديث».

« كوبيه» (Coppee)

«ماأسعد الشاعر الذى يحتفظ ـ مثل صديقنا المسكين بنفسه الصبية، وبنضرة أحاسيسه.. إن اسمه سيوقظ دائماً ذكرى شعر جديد على الاطلاق، شعرٍ اتخذ فى الآداب الفرنسية أهميةً تعدل الاكتشاف .. نعم لقد خلق«فيرلين » شعراً يميزه هو وحده، شعرا يصدر عن وحي ساذج دقيق معاً .. وهو فى هذا الشعر الذى لا يبارى يعبر لنا عن جميع طاقاته، وجميع آثامه، وكل وازاعه، وكل مظاهر رقته، وكل أحلامه... لقد أظهر لنا نفسه المضطربة بالغة السذاجة مع ذلك ... إن مثل هذه الأشعار وجدت لتبقى» .

«موريس باريس» Maurice Barres

«إن أهم ما كان فيه قدرته على الاحساس، والتأثير بآلامه فى الآخرين، وجسارته السافرة، وهذه المظاهر من الجمال الرقيق المحزن معاً ... كل هذا لا يزال حيا ... وأن هذا الذى لم يعد شيئاً فى هذا

التابوت ليحيا فى نفوسنا جميعاً نحن الحاضرين هنا»

« انا طول فرانس» (Anatole France)

(بالرغم من قسوته المقنعة):

«لاينبغى أن نحكم على هذا الشاعر كما نحكم على إنسان عاقل ... إن لديه أفكاراً لا نملك مثلها، لأنه أكبر منا بكثير، وأقل منا بكثير فى نفس الوقت ... انه شاعر لا يجود قرن كامل بواحد مثله ... ستسأل : أمجنون هو؟ ـ انى أعتقد ذلك ... ولكن حذار! فان هذا المجنون المسكين قد خلق فنا جديدا؛ وهناك أمل فى أن يقال عنه ذات يوم ما يقال اليوم عن «فرانسوافيون» (Francois Villon) الذى يحب تشبيهه به، أى : «لقد كان أحسن شعراء عصره»

«لوران تاياد» (Laurent Tailhade) :

• «بول فيرلين أكبر شعراء القرن التاسع عشر بدون استثناء فيكور هوجو».

من ديوان (حكمة)

تتطلب الخطة التى رسمتها سلسلة «تراث الانسانية» أن يذيل كل بحث فيها باستشهادات من

المؤلف الذى تنصب عليه الدراسة؛ ونحن ـ كعادتنا ـ لن نشذ هنا عن هذه الخطة، وإن كنا نشعر بأن أشعار «فيرلين» تفقد بالترجمة أهم مقوماتها، وهو تلك الموسيقية الفريدة التى لم يعرف الشعر الفرنسى مثلها قبل هذا الشاعر الفذ ..علينا ـ مع ذلك ـ أن نقنع بالقدر التالى:

يا إلهى لقد جرحتنى بالحب؛

ولايزال جرحى ينتفض؛

يا إلهى لقد جرحتنى بالحب

يا إلهى أصابتنى خشيتك،

واللذعة لا تزال ترن؛

يا إلهى اصابتنى خشيتك يا إلهى لقد عرفت أن كل شئ حقير، واستقرت عظمتك فى نفسى؛

يا إلهى لقد عرفتُ أن كل شئ حقير اسألك أن تغرق روحى فى نبيذك الغزير،

وأن تقيم حياتى بخبز مائدتك؛

اسألك أن تغرق روحى فى نبيذك الغزير

ها هو دمى الذى لم أرقه،
ها هو لحمى الذى لا يستحق الألم؛
ها هو دمى الذى لم أرقه
ها هو جبينى الذى لم يستطيع إلا أن يحمر،
انه لكرسى قدميك المعبودتين؛
ها هو جبيتى الذى لم يستطيع إلا أن يحمر
ها هما يداى اللتان لم تعملا،
انهما للجمر البخور النادر؛
ها هما يداى اللتان لم تعملا
هاهو قلبى الذى خفق سدى ،
انه ليرجف من آلام العذاب؛
هاهو قلبى الذى خفق سدى
هاهما قدماى اللتان كانت لهما جولات عابثة،
انهما للإسراع حين يرتفع صوت رحمتك؛
هاهما قدماى اللتان كانت لهما جولات عابثة
هاهو صوتى الكاذب الكريه،
انه اللوم الذى يفرضه العقاب؛

هاهو صوتى الكاذب الكريه
هاهما عيناى مشعلا الضلال،
انهما لتطفآ بعبرات الدعاء؛
هاهما عيناى مشعلا الضلال
واحسرتاه! أنت يارب القربان والعفو،
ما هو بئر جحودى..
واحسرتاه! أنت يارب القربان والعفو
ياإله الهول والقداسة،
واحسرتاه! هاهى هوة جرمى السوداء
ياإله الهول والقداسة.
انت ياإله السلام والفرح والسعادة،
هاهى كل عبراتى، وكل مظاهر جهلى؛
انت ياإله السلام والفرح والسعادة.
انك تحيط بكل هذا، بكل هذا،
وتعلم اننى اكثر الناس مسكنة؛
انك تحيط بكل هذا، بكل هذا .
ولكنى اعطيك ـ ياإلهى ـ كل ما عندى .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥١٢٢

I.S.B.N 977-01-3898-3

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى عشرة قروش
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

مطا...
الهيئة المصرية الع...

